من كارل ماركس الى فردريك انجلس (١)

تعريب الدكتور عبدالرحمن الحبيب

لندن ٢ آب ١٨٦٢

عزيزى فردريك :

شكرا جزيلا من اجل العشرة جنيهات •

انى اشعر غير مرتاح لان اضايقك فى شؤونك المالية من اجلى ولكن ماذا اتمكن ان افعل ؟ من يقدر ان يتحمل ازمة كالازمة القائمة الآن فى اميركا ؟ انه لمن حظى النحس ان اشتغل مع الصحيفة التعسة ، وكالة فينا (Vienna Presse) وبامكان اولئك الاشخاص ان يستخدمونى الى حد ما مع التربيون • هل تعتقد انه قد حان الوقت لاتقدم بطلب الى صحيفة المساء (Evening Post) ، صحيفة تحرير العبيد فى نيويورك لاشتغل كمراسل ؟

انه لمدهش انى لا أزال قادرا على الاستمرار بعملى النظرى كما فعلت فيما مضى • والآن أروم ان اجلب نظرية الريع التى تكون فصلا فى هذا الجزء ، اعنى وضع توضيح لمبدأ وضع سابقا • وسوف اخبرك بكلمات قليلة العدد قصة طويلة ومعقدة ، لتتفضل علىّ برأيك •

انت تعرف اننى اقسم رأس المال الى قسمين مختلفين :

(١) رأس المال الدائم (المواد الاولية والمواد المساعدة والمكائن ، ••• الخ) والذى تظهر قيمته ثانية فى قيمة الناتج ، و (٢) رأس المال المتغير ، اعنى ، رأس المال المخصص للاجور وهو يحتوى عملا مجسدا اقل مما يقدمه العامل للحصول عليه(٢) •

ولنضرب مثلا انه اذا كان الاجر اليومى يعادل ١٠ ساعات وان العامل يشتغل ١٢ ساعة فهو يعوض للمستخدم رأس المال المتغير ويحقق له فضلة قدرها خمس (١/٥) رأس المال المتغير وهى ساعتان • وهذه الفضلة أسميها فائض القيمة •

---

(١)

Karl Marx and Frederick Engels, Selected Correspondence (Moscow: Foreign Languages Publishing House, 1953), pp. 157—162.

(٢) للحصول على الاجور •

افرض ان نسبة فائض القيمة (أى طول يوم العمل وفضلة العمل على العمل الضرورى المنجز من قبل العامل لتعويض اجره[٣]) هى معطاة وانها تساوى ٥٠ بالمئة • ففى هذه الحالة ، مع شغل ١٢ ساعة يشتغل العامل ٨ ساعات لنفسه و ٤ ساعات (٨ ÷ ٢) للمستخدم • وافرض ان هذا الترتيب موجود فى كل الصناعات فاي اختلاف فى معدل مدة العمل انما هو تعويض لقلة أو لكثرة صعوبة العمل •

فى هذه الاحوال ، مع استغلال متساو للعامل فى الصناعات المختلفة فان تباين استخدام رأس المال يقدم كميات مختلفة من فائض القيمة فى مجالات الانتاج المختلفة وينتج عن ذلك نسب غير متساوية من الارباح لان الربح ليس الا نسبة فائض القيمة الى مجموع رأس المال المستخدم • ويعتمد الربح على التركيب العضوى لرأس المال ، أى على كيفية تقسيمه الى رأس مال دائم ورأس متغير •

فافرض ، كما جاء فى أعلاه ، ان فائض العمل هو ٥٠ بالمئة • فعندئذ اذا كانت مثلا اجرة اليوم تبلغ جنيها واحدا وان يوم العمل هو ١٢ ساعة وان العمل الضرورى (لتعويض الاجرة) هو ثمانى ساعات ، تكون اجرة ثلاثين عاملا (اجرة ثلاثين يوما) عشرين جنيها وقيمة عملهم ثلاثين جنيها[٤] • اما رأس المال المتغير لعامل واحد (اليومى أو الاسبوعى) يصبح ٢/٣ الجنيه وقيمة ما ينتجه هو جنيه واحد • ويختلف فائض القيمة المنتج فى الصناعات المختلفة لرأس مال قدره ١٠٠ جنيه معتمدا على نسبة توزيع رأس المال الدائم ورأس المال المتغير اللذين يقسم اليهما رأس المال العام • سمِّ رأس المال الدائم c ورأس المال المتغير v • فاذا كان التركيب العضوى فى صناعة القطن مثلا هو : c = ٨٠ و v = ٢٠ ، تكون عندئذ قيمة الناتج ١١٠ (فارضين خمسين بالمئة فائض قيمة أو فائض عمل) وكمية فائض القيمة هى ١٠ بالمئة ونسبة الارباح ١٠ بالمئة لان الربح يساوى نسبة الـ ١٠ (فائض القيمة) الى الـ ١٠٠ (مجموع قيمة رأس المال المستخدم) •

---

(٣) ان مفهوم هذا التفسير غير واضح •

(٤) ٣٠ × ١ × ٨/٢ = ٢٠ •

واذا كان التركيب العضوى لرأس المال فى صنعة الخياطة بالجملة هو : c = ٥٠ و v = ٥٠ ، فيكون الناتج ١٢٥ وفائض القيمة (على أساس نسبة ٥٠ بالمئة كما فى اعلاه) ٢٥ ونسبة الارباح ٢٥ بالمئة . خذ صناعة أخرى نسبة تكوينها ٧٠ الى ٣٠ فالناتج يكون ١١٥ ونسبة الربح ١٥ بالمئة . واعتبر صناعة اخرى حيث ان التكوين هو ٩٠ الى ١٠ فالناتج يكون ١٠٥ ونسبة الارباح ٥ بالمئة .

ونجد ان ، مع استغلال متساو للعمل ، كميات مختلفة لفائض القيمة لكميات متساوية من رأس المال المستثمر فى الصناعات المختلفة ونتيجة لذلك تكون عندنا نسب مختلفة من الارباح .

واذا أخذنا رؤوس الاموال الاربعة التى ورد ذكرها فى أعلاه نحصل على :

التكوين العضوى	قيمة الناتج	نسبة الارباح
١ – c = ٨٠ ، v = ٢٠	١١٠	١٠ بالمئة
٢ – c = ٥٠ ، v = ٥٠	١٢٥	٢٥ بالمئة (فارضين ان نسبة
٣ – c = ٧٠ ، v = ٣٠	١١٥	١٥ بالمئة فائض القيمة فى كل
٤ – c = ٩٠ ، v = ١٠	١٠٥	٥ بالمئة الحالات هو ٥٠ بالمئة)
المجموع	٤٥٥	٥٥ = الربح
		رأس المال المستخدم = ٤٠٠

ويكون معدل الارباح فى هذه الصناعات الاربعة اذا استثمرنا ١٠٠ وحدة من رأس المال ١٣٣/٤ بالمئة .

واذا اعتبرنا ان مجموع رأس المال هو ٤٠٠ فان نسبة الربح تساوى ١٣٣/٤ بالمئة . والرأسماليون هم اخوان[٥] . والمنافسة (تحويل رأس المال أو سحب رأس المال من صناعة الى اخرى) ستؤدى الى حصول المجاميع المتساوية من رأس المال فى الصناعات المختلفة على نفس متوسط نسبة الربح مع اختلاف تركيبها العضوى . وبكلمات اخرى : ان متوسط الربح الذى

(٥) يصعب فهم فحوى هذه العبارة .

يدره رأس مال ١٠٠ جنيه مثلا فى صناعة معينة لا يكون كالذى يقدمه رأس المال المستخدم فى هذه الطريقة الخاصة ، ولا بنفس النسبة ، التى هى نفسها تنتج فائض قيمة ، ولـكن كجزء من مجموع رأس مال الطبقة الرأسمالية • انه سهم يدفع له ربح ، بالنسبة لحجمه ، من مجموع فائض القيمة الـكلى (العمل غير المعوض) والذى ينتجه مجموع رأس المال المتغير (المخصص لدفع الاجور) •

والآن ليحصل ١ و٢ و٣ و٤ فى الجدول السالف الذكر على متوسط الربح نفسه يجب ان يبيع كل منهم سلعه بـ ١١٣٣/٤ جنيه • ويجب ان يبيع ١ و ٤ السلع بأكثر من قيمتها و ٢ و ٣ بأقل من قيمتها •

والثمن الذى ينظم بهذه الطريقة يساوى تكاليف رأس المال + متوسط الربح قل ١٠ بالمئة وهو ما أسـماه آدم سمث بالثمن الطبيعى أو ثمـن التكاليف • وان المنافسة بين الصناعات المختلفة تجلب الاثمان فى الصناعات المختلفة الى هذا المتوسط من الاثمان (بنقل رأس المال أو بسحبه) • لذلك فان المنافسة لا تجلب السلع الى قيمها ، ولـكن الى أثمان تكاليفها والتى هى أكثر أو أقل أو مساوية لقيمتها ، معتمدا على التركيب العضوى لرأس المال فى كل صناعة •

ويخلط ريكاردو القيم مع أثمان التكاليف • ويعتقد انه اذا وجد الريع المطلق (اعنى الريع المستقل من التباين فى الانتاجية للاراضى المختلفة) فان الحاصل الزراعى سيباع دائما بثمن أعلى من قيمته لانه يباع بثمن أعلى من ثمن تكاليفه (رأس المال المسلف + متوسط الربح) • وهذا سيعطل القانون الاساسى • ولهذا انه ينكر وجود الريع المطلق ويعترف بالريع التفاضلى • وتعريفه لقيم السلع بالثمن التكليفى للسلع خاطىء وقد قبله تقليديا من آدم سمث •

والحقيقة هى :

افترض ان متوسط تركيب كل رؤوس الاموال غير الزراعية هو : c = ٨٠ و v = ٢٠ ولذلك فان الناتج (بنسبة ٥٠ بالمئة من فائض القيمة) يساوى ١١٠ وان نسبة الربح تساوى ١٠ بالمئة •

اقترض أيضا ان متوسط تركيب رأس المال فى الزراعة هو $c = ٦٠$ و$v = ٤٠$ • (وهذا الرقم هو صحيح من الوجهة الاحصائية فى انكلترة ؛ ولا يأتى ريع المرعى وغيرها باى فرق بالنسبة لهذا الموضوع لانه يحدد بواسطة ريع الحبوب وليس بواسطته •) عندئذ يكون الحاصل ، مع نفس الدرجة من استغلال العمل كما فى اعلاه ١٢٠ ونسبة الربح ٢٠ بالمئة • ولذلك اذا باع الفلاح حاصله بقيمته ، فيبيعه بـ ١٢٠ وليس بـ ١١٠ التى هى ثمن التكاليف[٦] • ولكن ملاكى الارض يمنعون الفلاح من معادلة قيمة الناتج وثمن التكاليف ، كما يفعل اخوانه الرأسماليون • ولا تتمكن المنافسة بين رؤوس الاموال ان تنفذ ذلك • فيتدخل مالك الارض ويختطف الفرق بين القيمة وثمن التكاليف • ونجد بصورة عامة ان نسبة واطئة من رأس المال الدائم الى رأس المال المتغير هو تعبير عن تطور واطىء (أو واطىء نسبيا) للقوة العمالية المنتجة فى مجال معين من الانتاج • فاذا كان متوسط تركيب رأس مال الزراعة هو : $c = ٦٠$ و $v = ٤٠$ بينما تركيب رأس المال غير الزراعى هو : $c = ٨٠$ و $v = ٢٠$ فان هذا خير دليل على ان الزراعة لم تصل حتى الآن نفس المستوى من التطور الذى وصلته الصناعة • (وتعليل هذه الظاهرة سهل جدا لان ، بعيدا عن كل شىء آخر ، علم الميكانيك هو علم قديم بالنسبة للصناعة ، بينما نجد بالنسبة للزراعة ان العلوم : الكيمياء والجيولوجيا والفلسجة ، هى من احدث العلوم •) فاذا أصبحت النسبة فى الزراعة $c = ٨٠$ و $v = ٢٠$ (مع الفرضيات نفسها فى اعلاه) فالريع المطلق يغيب عن الانظار • ويبقى فقط الريع التفاضلى الذى اطوره انا بطريقة تجعل فرضية ريكاردو بان الزراعة ستتدهور باستمرار مضحكة وحتميـــة •

يجب ان يلاحظ فيما جاء أعلاه فى تقرير ثمن التكاليف مميزا عن القيمة انه بالاضافة الى التمييز بين رأس المال الدائم ورأس المال المتغير الذى

---

(٦) ان استنتاج كارل ماركس لهذا الرقم ثمنا للتكاليف غير واضح • وربما قصد ان يذكر ١٠٠ بدلا من ١١٠ •

ينتج عن عملية الانتاج المباشرة التى يستخدم فيها رأس المال يوجد أيضا تمييز بين رأس المال الثابت ورأس المال الدوار الذى يظهر من عملية تداول رأس المال • وتصبح الدالة معقدة اذا انا أدخلت هذا فيما جاء فى أعلاه •

وهكذا ، يوجد عندك ، بصورة تقريبية ، لشىء معقد ، انتقاد لنظرية ريكاردو • والى هذا الحد يجب عليك ان تعترف ان الانتباه الى تركيب رأس المال العضوى يقضى على كثير من المتناقضات والمشكلات •

ولاسباب معينة سأوافيك بها فى رسالتى التالية أود ان ترسل لى نقدا عسكريا مفصلا (سوف انظر الى النهاية السياسية) لثرثرة لسال رستو عن التحرير •

المخلص

ك • م

تحياتى للسيدات[٧] •

اخبرنى امندات عن مجيئه • وسيغادر اتزغ (فردناند لسال) يوم الاثنين •

سترى انه بالنسبة الى فكرتى عن الريع المطلق أن أصحاب الاراضى (تحت ظروف تاريخية معينة) يرفعون حقا اثمان المواد الاولية • ويمكن ان يستغل هذا من قبل النظرة الشيوعية •

اذا افترضنا صحة ما جاء فى اعلاه فليس اسياسيا ان يدفع الريع مطلقا فى أية حال أو لكل نوع من الارض (حتى ولو كان تركيب رأس مال الزراعة كما جاء فى اعلاه) • انه لا يدفع عندما لا توجد طبقة الملاكين شرعيا • فالزراعة فى هذه الحالة لا تقدم أية مقاومة لاستخدام رأس المال • ولذلك فانه (رأس المال) يدخل فى الزراعة بدون تقييد كما فى المجالات الاخرى • ويباع الحاصل الزراعى كما تباع المنتوجات الصناعية النمطية بثمن أقل من قيمتها ، بثمن التكاليف • وقد تزول طبقة الملاكين حيث ان الرأسمالى يصبح هو مالك الارض ذاته •

---

(٧) ان هذه السطور جاءت بعد انهاء الرسالة كملحق للرسالة •

لا حاجة الى الذهاب الى هذه التفاصيل هنا •

ومجرد الريع التفاضلى الذى لا ينتج عن الحقيقة القائلة ان رأس المال قد يستخدم على الارض بدلا من أى حقل من حقول الاستخدام الاخرى ، لا يقدم لنا أية صعوبة نظرية • انه ليس الا فائض فى الربح الذى نجده فى كل مجالات الانتاج الصناعى لكل رأس مال يستخدم تحت ظروف أحسن من المتوسطة • والسبب الوحيد الذى يجعل الزراعة تنمو هو انها تقوم على أساس وطيد وثابت (نسبيا) كدرجات الاخصاب الطبيعية المختلفة فى أنواع التربة المختلفة •

تعليـــق :

يفهم القارىء ان كارل ماركس كان يعانى ضائقة مالية عندما كتب رسالته هـذه الى فردريك انجلز • وان موضوع الرسـالة الرئيس هو مناقشة فائض القيمة ونسبة الارباح فى الانتاج الرأسمالى • وقد اعطانا تعبيرين اقتصاديين : القيمة وثمن التكاليف • وقصد بالقيمة ساعات العمل التى تبذل لانتاج سلعة ما • اما ثمن التكاليف فيساوى رأس المـال زائدا متوسط الربح فى الصناعات المختلفة •

ويقسم ماركس الناتج النهائى للصناعة الى قسمين[٨] : رأس المال المتغير والفائض • ورأس المال المتغير الذى يرمز اله ب (v) هو ما يخصص الى دفع الاجـور • اما الفائض والذى يرمز اليه (s) يشـمل الربح الصافى والفائدة والريع • فهو اذن زيادة الناتج الصافى على الاجور • والفرق بين الناتج العام (المخبوط) والناتج الصافى أسماه ماركس برأس المال الدائم (c) ويتكون من البنايات وما تضمه من معامل وآلات والمواد الاولية وانه دائم لانه لا يضيف الى قيمة الناتج أكثر مما يفقد فى عملية الانتاج • أما القيمة الجديدة المضافة فتعود الى قوة العمل المشتراة برأس المال المتغير (الاجور) • ورأس المال الثابت كالبناية مثلا يقدم الى رأس المال الدائم (c) فقط فى التأكل والتلف • فرأس المال الدائم يتكون من التأكل

(٨) انظر

Joan Robinson, An Essay on Marxian Economics (London: Macmillan & Co. Ltd., 1952), pp. 6—9.

والتلف والمواد الاولية • والناتج الكلى فى أية فترة ، قل لسنة واحدة ، يمثل ب (s+v+c) • وتقاس هذه الكميات بالقيمة أو بساعات العمل اللازمة اجتماعيا • وان ماركس يدعم حججه بثلاث نسب وهى : $\frac{s}{v}$ ويسميها نسبة الاستغلال و $\frac{c}{v}$ وهى نسبة التركيب العضوى لرأس المال و $\frac{s}{c+v}$ وهى نسبة الارباح • ان نسبة الاستغلال $\frac{s}{v}$ هى نسبة الفائض (الربح الصافى والفائدة والريع) الى الاجور وتبين لنا نصيب العمل فى الناتج الصافى • ويوضحها لنا ماركس بانها هى تقسيم ساعات عمل اليوم الى ساعات يشتغلها العامل لنفسه (يقبض أجورا بدلها) وساعات يشتغلها العامل للرأسمالى (لا يقبض عوضا عنها أى اجر) • وعلى هذا اذا كان $\frac{s}{v}$ يساوى $\frac{3}{4}$ وان ساعات عمل اليوم هى ١٠ فالعامل يشتغل عندئذ ٤ ساعات لنفسه وست ساعات لمستخدمه • وهو يشتغل أربع ساعات ضرورية (يدفع له أجور عنها) وست ساعات فضلة (بدون أجور) • وتلعب نسبة الاستغلال الدور الفعال فى حجة ماركس •

وقد سرد لنا ماركس فى رسالته هذه عدة أمثلة موضحا استخلاص فائض القيمة وذكر لنا ان الربح هو الفائض • واضاف بأن فائض القيمة المنتج فى الصناعات المختلفة لرأس مال قدره ١٠٠ جنيه يختلف معتمدا على نسبة توزيع رأس المال الدائم وراس المال المتغير اللذين يقسم اليهما رأس المال الكلى • ويفترض ماركس ان رأس المال دائما مسخر الى قدرته التامة •

ومما يؤآخذ عليه ماركس فى رسالته هذه هو عدم تفسيره لبعض التعابير الاقتصادية التى سردها فى سياق حديثه منها الريع المطلق والريع التفاضلى • وكذلك فانه قد تطرق الى كل من آدم سمث وريكاردو وحاول نقد نظرياتهما ولكنه لم يفلح لانه لم يخصص لهما الا عبارات مقتضبة غير وافية •

وبالرغم مما ذكر فان هذه الرسالة لها قيمتها العلمية وذلك لما حوته من تحليل مسهب لاستخلاص فائض القيمة ونسب الارباح •